ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

ما بعد غزة.. أيّ خيار للقادة العرب!؟

د. عدنان منصور

فيما جيش الاحتلال "الإسرائيلي" بكلّ وحشيته وهمجيته وبربريته، يقوم بهدم ما تبقى من مدينة غزة، تمهيداً للاستيلاء عليها، ومحوها من على الخريطة، وتهجير أهلها، فإنّه بذلك يسطر لتاريخ العرب، صفحة من الذل والهوان، على مرأى ومسمع من قادة وحكام، رفعوا وهماً، وخداعاً، وتضليلاً منذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم، قضيّة فلسطين، على أنّها القضية المركزية للأمة، وبوصلة العمل عربيّ.

على مدى عقود، كان العدو الإسرائيلي أكثر صدقاً من العرب القيّمين على هذه الأمة لجهة ما يتطلّع، ويريده، ويهدف، ويعمل عليه بكلّ وقاحة ودون مواربة. فيما قادة العرب لم يحافظوا على موقف موحّد، أو أن يلتزموا بقرار جماعيّ، ويثبتوا عليه، إذ ما يصرّحون به علانيّة، لا يعكس حقيقة ما يبطنونه في نفوسهم. ينادون بوحدة الصف العربي، فيما هم يحرصون على ان يكونوا خارج الهدف.

منذ ٧٧ عاماً، لم تتغيّر عقليتهم، ونياتهم تجاه بعضهم البعض. ينغمسون ويزجّون أنفسهم دائماً في الحروب الداخليّة التي تشهدها بلدان عربية، وفي الوقت نفسه يبدون حرصهم الشديد على سلامة وأمن واستقرار هذه البلدان. قضيّة فلسطين لم تكن لهم إلا جسر عبور لتظريف صورتهم أمام شعوبهم، والمزايدة في ما بينهم على تعلقهم بالقضية، والدفاع "المستميت" عن الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة.

قادة وحكام وزعماء أمة يتبارون في الجامعة العربية من أجل حلّ القضايا المصيرية وغير المصيرية للامة، فإذا بمحفوظات الجامعة العربية تختزن كمّاً كبيراً من القرارات الصادرة عنها، حيث تناولت الأحداث والمواقف، والتطورات، والمستجدات الطارئة، والمبادرات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وعالجتها على الورق، دون أن تحظى المعالجة بالمتابعة والتنفيذ. لذلك كان من البديهي، أن لا يجتمع العرب على "دبلوماسية الحرب" ليحاربوا معاً، ولا على "دبلوماسيّة السلام" ليسالموا معاً، بحيث بقيت القضية الفلسطينية في واد، وقادة الأمة المدافعين عنها في واد آخر.

من موقع الضعف لا القوة، اجتمع العرب وتقدّموا العام ٢٠٠٢، بالمبادرة العربية للسلام، حتى ينتهوا من الصراع العربي الإسرائيلي، ظناً منهم انّ شارون سيتلقف المبادرة، واذ به يوجه صفعة للقمة بقوله الشهير على أنّ مبادرتهم لا تساوي الحبر الذي كتبت به! شارون وقادة "إسرائيل" كانوا يعلمون جيداً ما يريدون، ويعرفون في المقابل حقيقة تفرّق العرب.

وخلافاتهم، وعدم جديّتهم وهزالة أفعالهم، وإنْ أكثروا الكلام في الدفاع عن فلسطين وحقوق شعبها. في حين تعمل فيه "إسرائيل" بكلّ ثقة على تحقيق أهدافها السياسية، والأمنية، والاستراتيجية، فيما القادة العرب يكتفون بـ "البلاغة والفصاحة"، والبيانات والشعارات والتصريحات الفضفاضة.

عندما رفضت "إسرائيل" المبادرة العربيّة للسلام، كان حال العرب عام ٢٠٠٢، أفضل بكثير عما هو عليه اليوم، حيث تشهد العديد من بلدانهم في الوقت الحاضر، تمزقاً، وحروباً داخلية، وفوضى، وانقسامات، وتفسخ نسيجهم الوطني. لذلك ليس من داع كي تقبل "إسرائيل" بالمبادرة الميتة التي لم يتوقّف العرب عن الحديث عنها في كلّ مؤتمر واجتماع طارئ!

من قال إنّ "إسرائيل" تريد السلام وتسعى إليه؟! من توهّم أنها ستقبل بدولة فلسطينية وتنسحب من الأراضي التي احتلتها؟! لماذا هذا العقم في العقل العربي؟! أهو سذاجة أم غباء أم استغباء! هل سمعتم مرة زعيماً او رئيس حكومة إسرائيلياً قال سراً أو جهارة إنه يقبل بدولة فلسطينية؟! إلى متى سيبقى العرب يحاورون أنفسهم وكأنّهم على كوكب آخر؟! في خطابه الذي ألقاه في حفل العشاء الختاميّ الذي ضمّ وزير خارجية مصر محمد إبراهيم كامل، ووزير خارجيّة الولايات المتحدة سيروس فانس، بعد اتفاقيّة كامب دايفد قال مناحيم بيغن رئيس وزراء "إسرائيل": "إنّ العرب تمتعوا بحق تقرير المصير في إحدى وعشرين دولة، وهم يريدون أن ينشئوا دولة جديدة بتقرير المصير، ليقضوا على مصيرنا. إذّني أقولها صريحة عالية: لا لتقسيم القدس، لا للانسحاب إلى حدود ١٩٦٧، لا لحق تقرير مصير الإرهابيّين". (مذكرات محمد إبراهيم كامل: السلام المفقود).

ألم تقل غولدا مائير بُعيد حرب ١٩٦٧ بقليل وبكلّ وقاحة واستعلاء: "كيف يمكن لنا إعادة الأراضي المحتلة؟! ليس هناك من أحد نعيدها إليه"!.

بدوره موشي ديان قال: "إنّ الجيل الماضي، أنشأ دولة "إسرائيل"، والجيل الحاضر أحرز ما أحرزه في حرب ١٩٦٧ فعلى الجيل القادم أن يأخذ المبادرة وينطلق عبر الحدود"!.

من المؤسف جداً أن يراهن القادة العرب على الدور الأميركي المنحاز والداعم كلياً لكيان الاحتلال، ولا يريدون أن يقتنعوا انّ واشنطن تقف الى جانب الاحتلال الإسرائيلي، وأنها على استعداد كلي لتضحي بهم، وبدولهم وشعوبهم في أيّ وقت تقتضي مصالحها ذلك. ألم يقل الرئيس الأميركي بعد وقت قصير من حرب ١٩٦٧: "نحن لا نقول لدول أخرى كيف ترسم بينها الحدود التي توفر لكلّ واحدة منها أكبر قدر من الأمن. لكنه من الواقع إنّ العودة الى الوضع الذي كان سائداً في الرابع من حزيران ١٩٦٧، لن يؤدي الى السلام"!.

لماذا يريد قادة العرب التمسك بمبادرتهم العقيمة، يستجدون في كلّ مرة "إسرائيل" على القبول بها، وهي لا تكترث بهم، ولا بمؤتمراتهم، ولا بياناتهم؟! أليس الأجدر بزعماء العرب البحث عن حلول رادعة وما أكثرها، تحفظ ماء وجههم وكرامتهم وكرامة أمتهم !

عن أيّ دولة فلسطينيّة يتطلّع إليها قادة العرب من خلال مبادرتهم المرفوضة بالمطلق إسرائيلياً! بعد سنتين من مبادرتهم، هل قرأوا تصريح الناطق الرسميّ باسم رئيس الحكومة أرييل شارون، دوف ويسغلاس لجريدة هآرتس يوم ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤، الذي كشف بوضوح نيات "إسرائيل" حول الدولة الفلسطينية بقوله: "إنّ معنى فك الارتباط بغزة، هو تجميد مسار السلام، وإنّ تجميد هذا المسار يعني منع قيام دولة فلسطينيّة، ومنع إجراء محادثات حول اللاجئين والحدود والقدس. نتيجة لذلك، فإنّ كلّ المسألة المسمّاة دولة فلسطينيّة مع كلّ ما يترتب عن ذلك ستسحب من جدول أعمالنا"!.

إلى متى سيظلّ العرب في موقع الوهم والضياع، والخنوع، والخضوع للآخر، فيما العدو يستمرّ في حروبه وسيطرته، واحتلاله للمزيد من الأراضي العربيّة!

يعلم جيداً زعماء العرب، أنه بعد غزة يأتي دور الضفة الغربية، ولبنان، وسورية، ومنها إلى ديارهم الواسعة، فما هم فاعلون عندما يقتحم العدو أسوارهم، ويصل إلى عقر دارهم. عندئذ أيّ راية سيرفعونها في وجه "إسرائيل"؟! أهي راية المقاومة والدفاع عن الأرض والشعب، أم راية المبادرة العربية للسلام، أم راية الذلّ والاستسلام؟! يبدو أنه لن يكون أمام زعماء العرب غير الراية الأخيرة التي لم تسقط من يدهم منذ نشوء دولة الاحتلال والعدوان وحتى اليوم، لا سيّما أنّ مجرم الحرب نتنياهو، وسّع من رقعة احتلال "إسرائيل" لأراض فلسطينية ولبنانية وسورية، وهو مصمّم على تحقيق حلم الدولة اليهوديّة وخريطتها التوراتيّة. إن لم يتمكن من تحقيق هذا في حياته، فهناك مَن سيتولى الأمر بعده، مثل ما فعل ليفي اشكول وموشي ديان بعد فترة دافيد بن غوريون في توسيع مساحة الاحتلال الإسرائيليّ عام ١٩٦٧.

متى سيقول العرب كلمتهم، ويمسحون عن وجه أمتهم العار وذلّ الاحتلال المرير الذي تعايشوا معه ٧٧ عاماً، لينتهي بهم المطاف إلى الهرولة للانخراط في المشروع الإبراهيميّ، في ظلّ احتلال إسرائيليّ متمادٍ لم يتوقف، وفي وقت تتوق فيه شعوب الأمة وتتلهّف لرؤية الفوارس والرجال؟!

الحوار السعودي مع حزب الله؟

ناصر قنديل

ليس حدثاً عادياً أن يُطلق الأمين العام لحزب اللّه الشيخ نعيم قاسم الدعوة للحوار مع السعودية وأن يضع له جدول أعمال يرتبط بتنقية الأجواء وإزالة المخاوف وضمان المصالح، وأن يقدّم له بتحليل عنوانه ما بعد استهداف قطر ليس كما قبله، وأن الوهم الاعتقاد بأن مَن يعتبرون أنفسهم أصدقاء واشنطن في المنطقة قد سقط، ومثله وهم الاعتقاد بأن الاستهداف الإسرائيلي محصور بقوى مقاومة بينها وبين دول الخليج ملفات خلافيّة، بما لا يجعل هذه الدول تشعر بأنها معنية باتخاذ مواقف جدية من هذه الاستهدافات، ومعهما سقط وهم الاعتقاد بأن واشنطن تحمي أو أن قواعدها تمثل حصانة، والأهم سقوط وهم الاعتقاد بأن العدو هو إيران وأن "إسرائيل" يمكن أن تكون حليفاً.

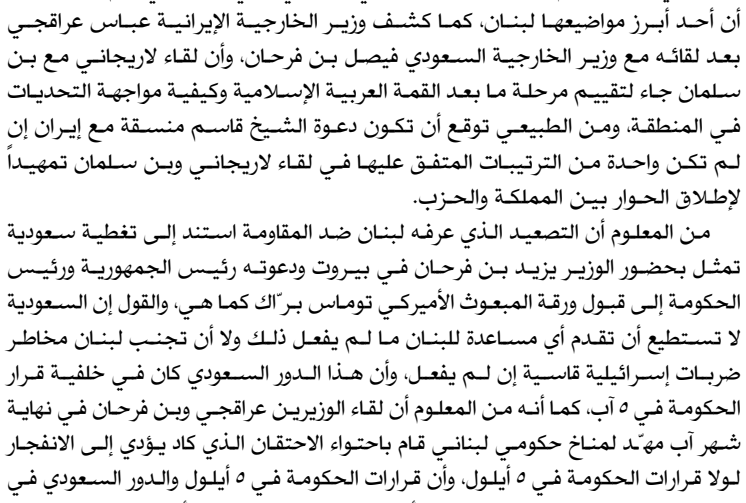

ما قاله الشيخ قاسم ليس مجرد قراءة ذاتية عند الحزب قد يحلو لمن اسودت وجوههم خشية أن يكون الحوار بين الحزب والمملكة قابلاً للتحول إلى واقعنا فينقطع رزق الكثيرين الذين يتعيشون على الخلاف بينهما، أن يعتبروه سعياً من حزب اللّه لفك ما يسمونه بالعزلة، أو أنه اعتراف بالضعف، والوقائع من حولنا تقول بوضوح إن السعودية ذهبت إلى معاهدة دفاع مع باكستان بعد العدوان على قطر فوراً، وباكستان التي تقيم أفضل العلاقات مع إيران والصين هي الدولة الوحيدة التي قالت خلال الحرب الأميركية الإسرائيلية على إيران، حيث قال وزير الدفاع الباكستاني في ثالث أيام الحرب سوف نقف مع إيران بكل ما أوتينا من قوة، وإن هذه المعاهدة تحمل معاني تشبه ما قاله الشيخ قاسم، فهي تقول إن ما قبل العدوان على قطر ليس كما قبله، وأن أميركا لا تحمي وأن العدو ليس إيران وأن مصدر الخطر "إسرائيل"، وأن الاستهداف الإسرائيلي يتوسّع إلى ما يتخطى استهداف قوى المقاومة، بدليل ما يجري في سورية وواقعة العدوان على قطر.

الدعوة تأتي بعد لقاءات عالية المستوى بين السعودية وإيران جمعت ولي العهد السعوديّ بأمين عام مجلس الأمن القومي الإيراني علي لاريجاني، لم يكن خافياً أن أحد أبرز مواضيعها لبنان، كما كشف وزير الخارجية الإيرانية عباس عراقجي بعد لقائه مع وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان، وأن لقاء لاريجاني مع بن سلمان جاء لتقييم مرحلة ما بعد القمة العربية الإسلامية وكيفية مواجهة التحديات في المنطقة، ومن الطبيعي توقع أن تكون دعوة الشيخ قاسم منسقة مع إيران إن لم تكن واحدة من الترتيبات المتفق عليها في لقاء لاريجاني وبن سلمان تمهيداً لإطلاق الحوار بين المملكة والحزب.

من المعلوم أن التصعيد الذي عرفه لبنان ضد المقاومة استند إلى تغطية سعودية تمثل بحضور الوزير يزيد بن فرحان في بيروت ودعوته رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة إلى قبول ورقة المبعوث الأميركي توماس برّاك كما هي، والقول إن السعودية لا تستطيع أن تقدم أي مساعدة للبنان ما لم يفعل ذلك ولا أن تجنب لبنان مخاطر ضربات إسرائيلية قاسية إن لم يفعل، وأن هذا الدور السعودي كان في خلفية قرار الحكومة في ٥ آب، كما أنه من المعلوم أن لقاء الوزيرين عراقجي وبن فرحان في نهاية شهر آب مهّد لمناخ حكومي لبناني قام باحتواء الاحتقان الذي كاد يؤدي إلى الانفجار لولا قرارات الحكومة في ٥ أيلول، وأن قرارات الحكومة في ٥ أيلول والدور السعودي في تسهيل صدورها، مهّدت للدعوة التي أطلقها الشيخ نعيم قاسم أمس.

في مثل حالة حزب اللّه والسعودية يصعب تصديق أن الإعلام هو وسيلة التخاطب الأولى بين الطرفين، بل إن ظهور التخاطب عبر الإعلام يكون ثمرة كواليس مهدت وهيأت، وصار الخطاب المطلوب علناً هو التمهيد اللازم لبدء مسار الانفتاح المتبادل من جهة، وتهيئة الجمهور من جهة مقابلة، والمنطقي أن نتوقع وفقاً لهذا الفهم الموضوعي للطرفين وأسلوب تعاطيهما الرزين والمحافظ، أن الحوار مسار أكيد سوف ينطلق بمواقف متقابلة تعقبها خطوات متبادلة، وهذا أمر سوف يترك انعكاسات كبيرة على الوضع في لبنان والمنطقة، حيث إن إزالة التوتر من العلاقة بين الحزب والمملكة سوف يخلق مناخاً ايجابياً في الداخل اللبناني، بين ثنائي أمل وحزب اللّه من جهة وكل من رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة من جهة مقابلة، بل إن ما تضمنته دعوة الشيخ قاسم من انفتاح على الداخل اللبناني تمثل تمهيداً لمساهمة سعودية في رعاية مثل هذا الحوار، ولا يبدو أن هناك من متضررين من هذا المسار الجديد، إلا الذين ذهبوا بعيداً في العداء للمقاومة الى درجة التماهي مع الطروحات الإسرائيلية، أو الذين تعيّشوا على الخلاف بين المملكة والحزب ولا يستطيعون تخيّل دور لهم إن استغنت السعودية عن خدماتهم، بينما لن تكون أحوال اليمن وغزة ووصولاً إلى سورية بعيدة عن جدول أعمال الحوار المرتقب.

عيون لا تُطفَأ.. حين تتحوّل العتمة إلى بصيرة

د. فاطمة علي الموسوي

مقدمة

في تلك اللحظة التي انفجر فيها البايجر، لم يُطفأ نور عيون المقاومين وحسب، بل انكشفت فجأة هشاشةُ العالم الذي نظنّ أنّه قائم على الرؤية.

كأنّ الكون أراد أن يقول لنا إنّ العين، التي تغترّ بقدرتها على اقتناص الأشكال، ليست أكثر من نافذة صغيرة على هاويةٍ لا تُقاس بالضوء.

إنّه انفجار لم يقتصر على حجارةٍ وأجساد؛ بل انفجارٌ في فلسفة الوجود نفسها: ماذا يبقى من الإنسان حين تسقط الصورة ولا يبقى سوى اللمس الداخلي، سوى إدراكٍ بلا ألوان ولا ظلال؟

الإنسان، منذ فجره الأول، عاش في وهم أنّ النور هو شرط الحقيقة.

من كهف أفلاطون إلى شاشات عصرنا، ظلّ يعتقد أنّ الخلاص في الانتقال من الظلّ إلى الضوء.

لكن مقاومي البايجر، وقد خُطف البصر من وجوههم، أظهروا أنّ النور ليس ما تلتقطه الحدقة، بل ما يتولّد في أعماق الروح ساعةَ يُحجَب المرئي.

إنهم يُعيدون تعريف المعرفة: الرؤية ليست فعل عين، بل فعل كينونة؛ إنها اهتداء القلب إلى المعنى حين ينكسر الجسد.

هناك، في تلك اللحظة التي تهاوت فيها الشبكيات، كان الدماغ يبتكر خرائط جديدة، والحواس تنسج مسالك لم تكن معروفة.

لكن ما يدهش ليس تكيّف الخلايا، بل صمود المعنى.

فالظلام الخارجي حرّر طاقةً خامدة، وكأنّ إطفاء الضوء كان ضرورة ليتفجّر فيهم ذلك النور الباطني الذي يجهله علم الأعصاب ويعرفه العارفون.

إنها تجربة تُثبت أن الجرح قد يكون بوّابة، وأن العتمة ليست نقيض النهار بل رحمُه الخفي.

ولأنّ التاريخ يصرّ على أن يكتب دروسه بالدم، تستحضر هذه الفاجعة ذكرى كربلاء:

الإمام الحسين الذي واجه ليل السلطة بشمس الموقف، والسيدة الزهراء التي علّمت أن الدمعة يمكن أن تصبح بياناً أبدياً.

وما جرى في البايجر هو صدى لذلك الدرس الخالد: أنّ الحقيقة لا تُقاس بكمّ الضوء، بل بصلابة الموقف، وأن النور الأصفى يولد أحياناً من أعمق العتمات.

البصيرة.. حين يهزم الجسد

حادثة البايجر ليست مجرّد انفجار، بل لحظة فلسفية تكشف أن الجسد هشّ، وأن العين أداة لا غاية.

العين التي تذرف دمعةً من دم تُعيدنا إلى دمعة السيّدة فاطمة الزهراء وهي ترى النبوّة تُحاصر وتستشعر مصير أبنائها، وتُعيدنا إلى السيّدة زينب وهي تلمح المذبحة ثم تقف شامخةً لتقول: ما رأيتُ إلاّ جميلاً.

هكذا يكتشف المقاوم أنّ العمى ليس ظلمة، بل تجلٍّ: فالأشياء تنكشف بحدسٍ داخليّ، يخرق الحجاب بين الدنيا والمعنى، بين العين والقلب، بين الألم والسموّ.

نساء وأطفال.. جراح تتكلّم

ليس الرجال وحدهم من دفعوا ثمن الانفجار. نساءٌ كنّ يحضن الحياة في أكمامهنّ، وأطفالٌ كانوا يلهون ببراءةٍ تشبه الحلم، وجدوا أنفسهم في مواجهة النار ذاتها.

وجوه صغيرة تشقّقت من شظايا الحديد، عيون غضّة تحوّلت إلى مساحات صمتٍ تنزف ضوءاً، وأمهات يضمّدن أجساد أبنائهنّ بأصابع مرتجفة وقلوبٍ صلبة.

هؤلاء النساء يشبهن فاطمة الزهراء في وقفتها الأولى حين رأت الظلم يطرق بابها، ويشبهن زينب وهي تحوّل الألم إلى خطابٍ للخلود.

إنّ جراحهنّ ليست حكاية ضعف، بل إعلان أن المقاومة ليست حكراً على الرجال: إنها فعلُ حياةٍ يكتبه الجميع، كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً، بدمهم ودموعهم معاً.

فلسفة الألم

الألم هنا ليس قيداً، بل معبرٌ إلى الحرية. إنه امتحان الروح في قدرتها على أن تجعل من العجز قدرة، ومن الفقد امتلاء.

هؤلاء الجرحى، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يذكّروننا بأنّ الفلسفة ليست كتباً تُدرَس، بل لحظة وجودية نعيشها حين نفقد كل شيء ونبقى نحن.

إنهم يعلّموننا أنّ النور الحقيقيّ يبدأ من الداخل، وأنّ كل عينٍ ترى العالم، عاجزة إن لم تتّسع لتراه بقلبها.

رسالة إلى العالم

إلى كلّ من يظنّ أنّ القوّة في السلاح، يقول هؤلاء: القوّة في القدرة على الصمود بعد الانفجار، في ابتسامة رجلٍ أطفأ الحديد عينيه ولم يطفئ روحه.

إلى كلّ من يغرق في استهلاك الصور، تهمس النساء اللواتي فقدن أبناءهنّ: نحن الذين فقدنا الصورة لندرك جوهر الوجود.

إلى كلّ من يعبد الضوء، يعلّم الأطفال الذين يداوون عيونهم: هناك نورٌ لا تراه العين، بل تذوقه الروح.

خاتمة: من العتمة إلى النور الكوني

حادثة البايجر لن تُمحى من ذاكرة الأرض، فهي لم تكن مجرد كارثة أو خسارة جسدية، بل ولادة جديدة لفهم الإنسان وللأمة وللمقاومة. العيون المغلقة التي تركتها الشظايا لم تُطفئ الحياة، بل أضاءت مسارات جديدة للرؤية، مسارات لا تلتقطها العدسات، ولا تُسجّلها الكاميرات، مسارات تنبت من قلب الألم إلى نور الحكمة.

إن رجالاً ونساءً وأطفالاً، كل واحد منهم صار بمثابة شعلة روحانية؛ يعلّمنا أن المعنى الحقيقي لا يُقاس بقدرة العين على الالتقاط، بل بقدرة القلب على الإمساك بالحق، وأن العتمة ليست نهاية، بل مقدمة لاكتشاف ما لم نرَه من قبل.

السيدة فاطمة الزهراء والسيدة زينب هنا ليستا رموزاً بعيدة، بل حاضرتان في كل عين أصابتها النار، في كل طفلٍ لم يعد يرى، وفي كل أمٍّ تحمل ابنها بين ذراعيها. فكما علّمتنا الزهراء أنّ القوة في الصبر، وزينب أنّ الحرية في مواجهة الظلم، يقدم لنا اليوم المقاومون درساً حياً: أن العين التي فقدت بصرها قد ترى الحقيقة بوضوح أكبر من أي عين طبيعية.

وفي هذا المعنى، تصبح مأساة البايجر مرآة لنا جميعاً: للأمة التي تختزل الحياة في صور ومساحات ضيقة، وللبشر الذين يعتقدون أنّ الرؤية تقتصر على الحدقة. إنّ هذه العتمة تكشف أن النور الحقيقي ليس ما يراه الجسد، بل ما يلتقطه القلب والضمير والروح.

إنها دعوة لأن نعيد النظر في معنى المقاومة، وأن نرتقي بفهمنا للحياة، لأن كل ضحايا البايجر، رجالاً ونساءً وأطفالاً، أصبحوا معلمين للروح البشرية، يعلموننا أن الألم يمكن أن يتحوّل إلى ضياء، وأن الخسارة المادية ليست نهاية، بل انطلاق إلى إدراك أعمق للوجود.

وفي النهاية، يبقى درس البايجر خالداً: أنّ العتمة التي تحيط بنا قد تكون الطريق الأقصر إلى النور، وأنّ الأعين التي أُغلقت، لم تُفقد القدرة على الرؤية، بل اكتسبت رؤية جديدة تتخطى حدود العالم المرئي، لترسم أفقاً للحرية والوجود والإيمان.